الخضر حسين

سلسلة أدب الفتوة

obeikan.com

obeikan.com

منشورات وزارة الثقافة
الجزائر

100

سلسلة أدب الفتوة

مصطفى بن ابراهيم

شاعر بني عامر

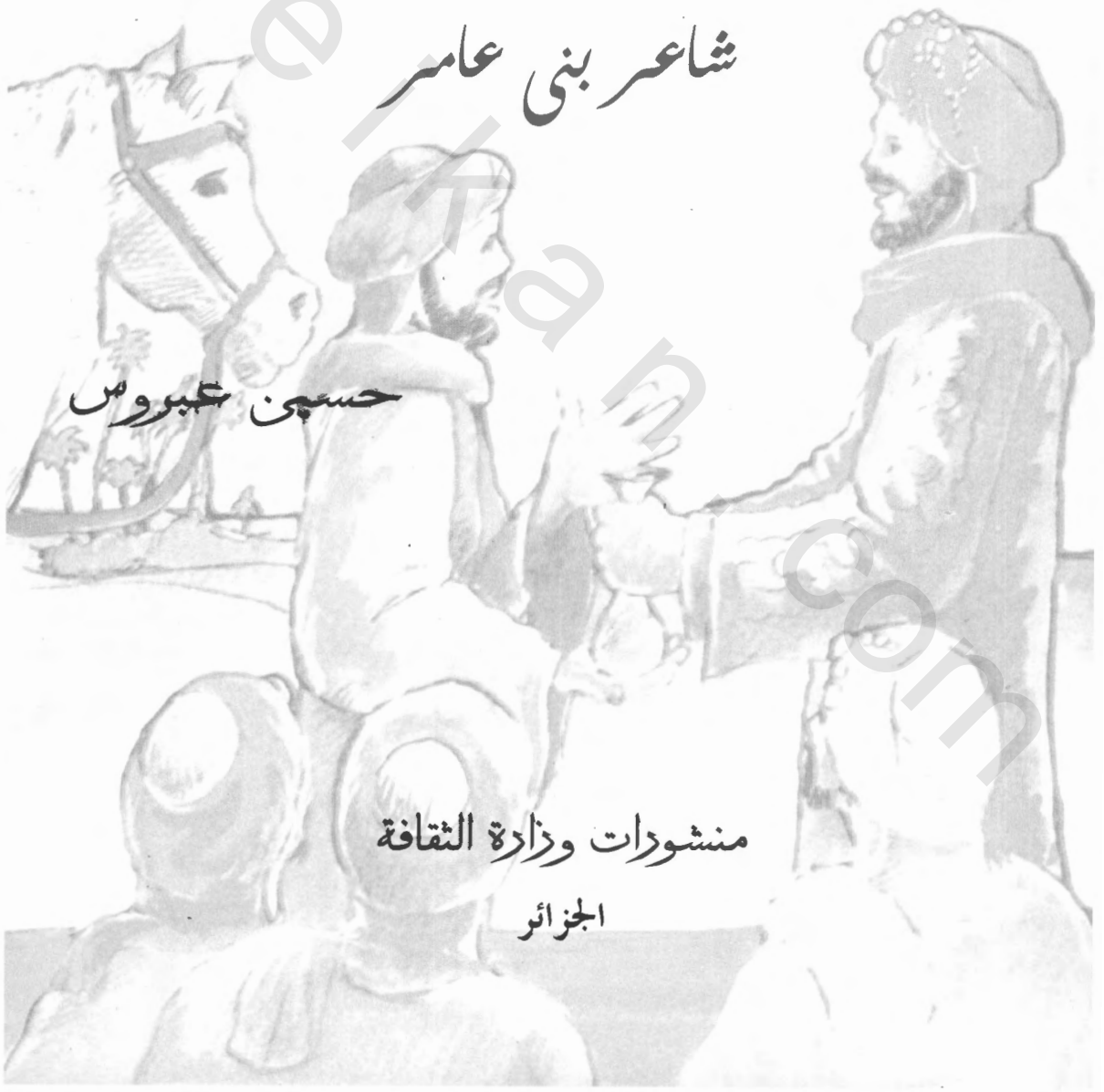

حسين عبروس

منشورات وزارة الثقافة

الجزائر

obeikan.com

سلسلة أدب الفتوة

تحت اشراف:

د. ربيعة جلطي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2005

obeikan.com

افتتاح:

هذه قصة تحكي سيرة رجل عاش حياة حافلة بالأحداث والمواقـــف، مليئة بالمغامرات زاخرة بالمجد الشعبي، في حياة رجل اشتهر بلقب شاعر بني عامر ومدّاح القبائل الوهرانية إنّه الشاعر البدوي مصطفى بن إبراهيـــم. وذلك على امتدادا سبع وستين سنة من بداية القرن التاسع عشر.

المؤلف

obeikan.com

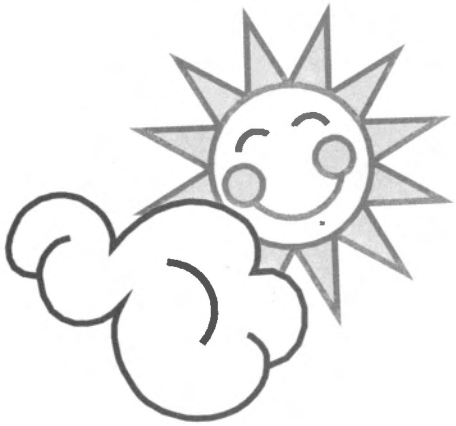

دْخَلْتْ فاسْ بقيتْ نْحوَسْ ما صُبتْ فيه زيْ بـــلادي
صَهْدَ العزيز جَافي الكبـــدَة وانطلقوا حُول خـــدودي
إذا خالقـــــي رَجَّعْـــــني واشْ يطيَّـــح لَلّي عـــادي

الشاعر: مصطفى بن ابراهيم

obeikan.com

مصطفى بن ابراهيم

تنتمي أسرة الشاعر مصطفى بن ابـــراهيم إلى الولي الصالح "ســـيدي ناصر، سَبُعُ الخلفاء" نزح من القبائل الأحرار الذين سكنوا منطقـــة (آفلو) ولاية الأغواط حاليا. استقرّ بوالده المقام بناحية سيدي بلعبـــاس، وكان يشتغل مهنة (معلم القرآن).

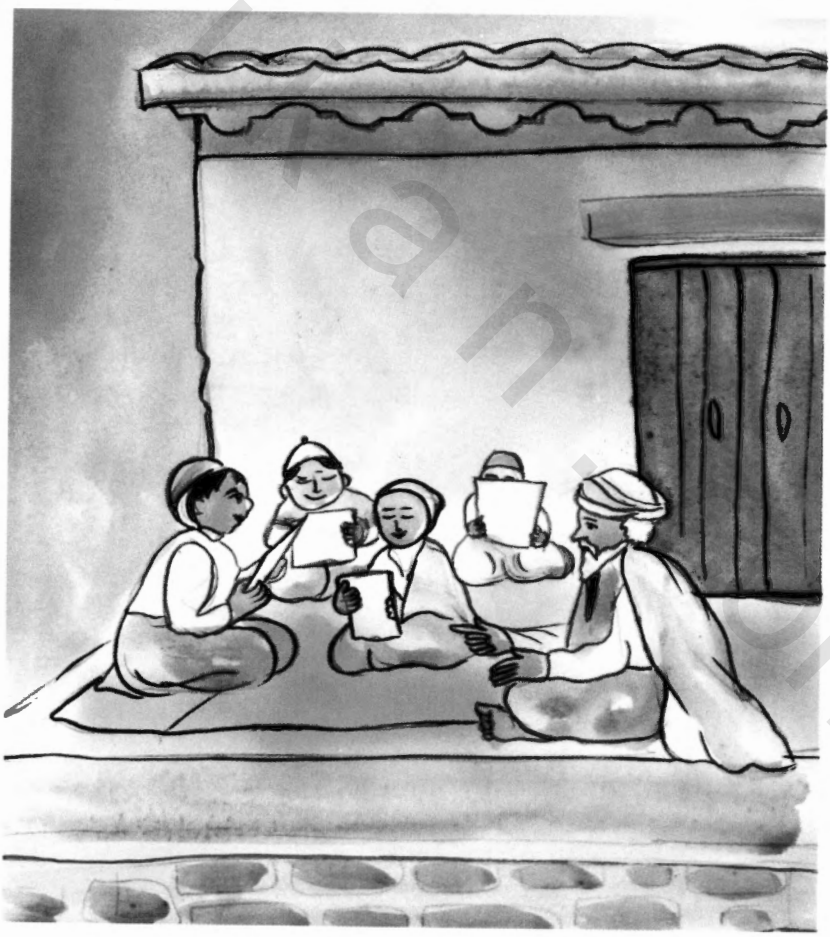

ولد ابنه الشاعر مصطفى بن ابراهيم بقرية (بوجبهـــة) عام 1800م. ونشأ شغوفا بحب العلم، حفظ القرآن وهو في سنّ مبكرة، وكانت أمنيته أن يخلف والـــده في مهنة تعليم القرآن، وقد أخذ الفقه على يدي الفقيـــه الشيخ (سي محمد البطيوي) وتحققت أمنية الفتى وأصبح معلما للقـــرآن ويختلف البعض في نسبه إلى قبيلة من قبائل بني مريانة، وإلى بني تالة أو أولاد مراح، وينسبه البعض الآخر إلى أهل غريس وإلى مُهاجة.

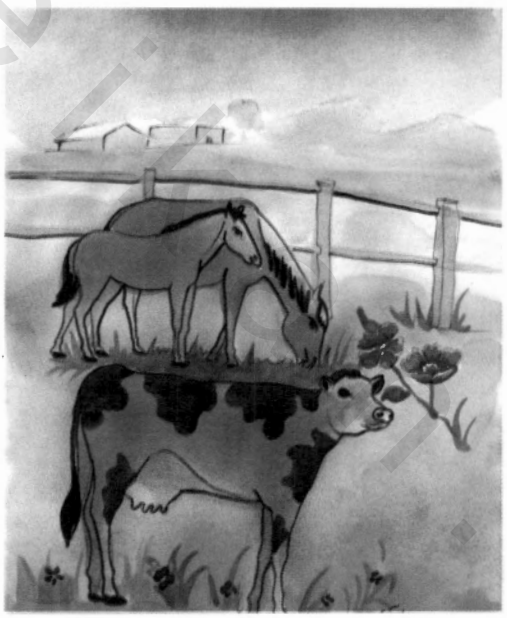

وأصبح مصطفى بن ابراهيم قاضيا في منطقة (أبي جبهة) وكان شاعرا فحلا ساعده في ذلك حفظه للقرآن ودراسته للفقه ومختصر سيدي خليل والحديث النبوي الشريف. ويُكنَّى مصطفى بن ابراهيم بكُنية"بـــراهمي" وهي كنية العائلة ومنها فرقة تكنى"ناصر"

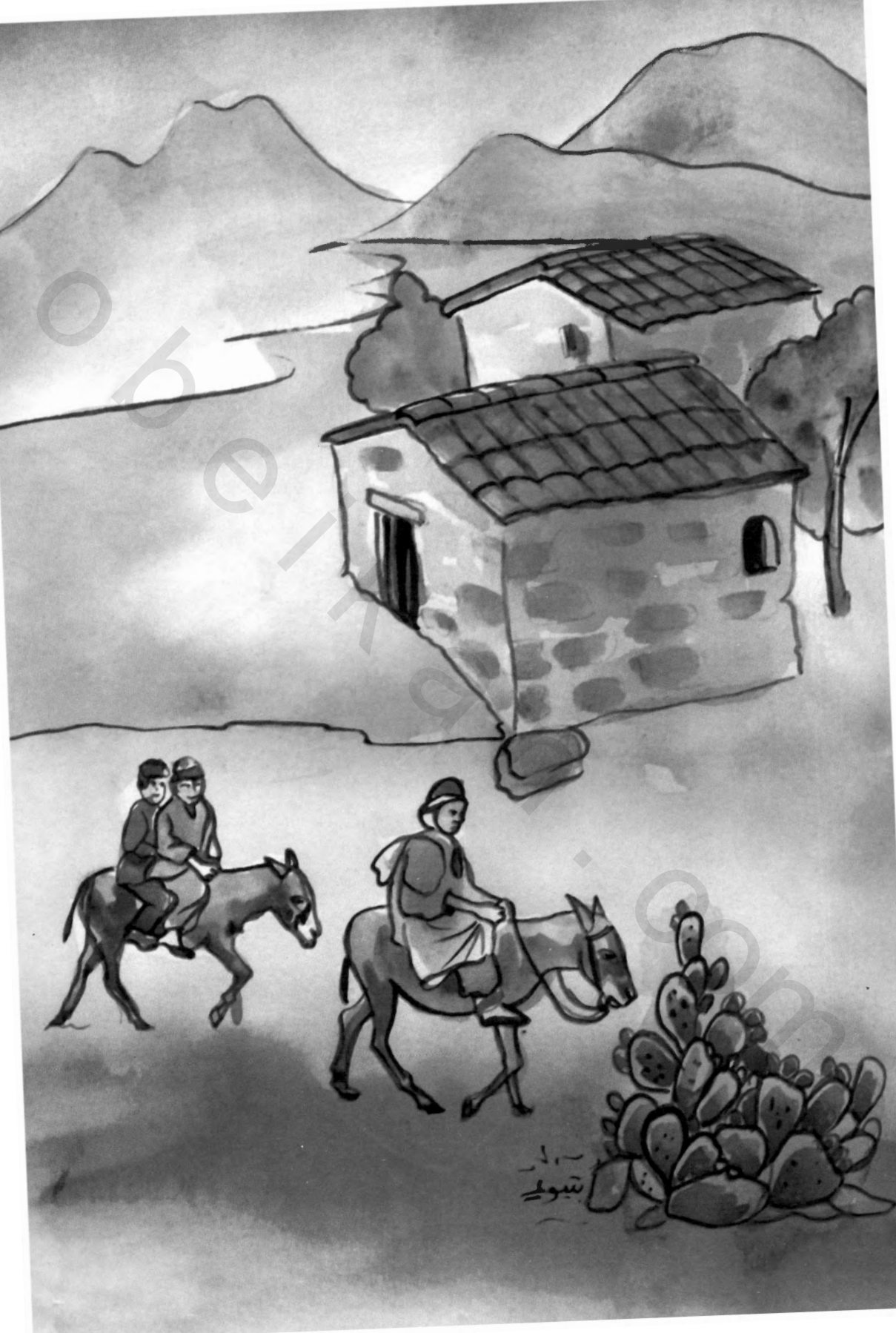

مواقفه

وتحكى الرواية أن الشاعر مصطفى بـــن إبـــراهيم كان من المناصرين للأمير عبد القادر الذي كان يحمل لواء المقاومة الجزائرية ضد الاحـــتلال الفرنسي.

لقد لعب مصطفى بن ابراهيم دورا بارزا في تلك الأحداث التي وقعت أنذاك ضد أهل (ملاتة) وهاهو يقول لهم:

"أصحـــاب ملاتة عظَامْ جَهَنَـــم/كيف تديروا لهذا الرسول اليّ غضّبتـــــوه؟
احنَا مَنَاشْ كيفكـــمْ/ودين المختـــارْ ويْنَـــــما مَرَينا نَـــــدوه/ أَتَحْـــوَاج
أُمَاتكمْ والصَّـــبي كي يزيدْ كِيفَاه تْسَمُـــــوه/ سَمُوه بو شنَـــــاق والاّ جَنَارْ
انْتَاعْكـــمْ!"

ولقد خلّد الشاعـــر تلك المناوشات التي قامت بين القبائل الوهرانيـــة والمغاربة وهي الفصل الأخير من مقاومة الأمير عبد القادر. حينما أرغمت معاهدة طانجة السلطان المولى عبد الرحمن على مطاردة الأمير من كلّ جهة وانتهت بإخراجه من المغرب، ووقوعه في قبضة الفرنسيين.

obeikandl.com

هجرته

لقـــد خلّد التاريـــخ هجرة القبائل الوهرانية إلى المغرب خلال فتـــرة الاحتلال الفرنسي لبلادهم، ومن هذه القبائل قبيلة الحشم وبني عامـــر، والأجـــواد ونزلوا بدائرة الأمـــير عبد القادر بالقرب من وادي مليويـــة في التراب المغربي، وقد انتقلت قبيلة الشاعر (بني عامر) إلى ناحيـــة (فاس) فاقتطعهم المولى عبد الرحمن بعـــض الأراضي من أجل استيطانهم النهائي ووقع الخلاف بينه وبين قبيلة بني عامر، وذلك ما جعل الشـــاعر مصطفى ابن ابراهيم يمطر المغاربة سيلا لاذعـــا من الهجاء. بسبب خيانة سلطانهم وعدم الوفاء بوعوده فيهجوه قائلا:

"سُلْطَانْ خَانْهمْ وخدعهمْ ذُوكْ الأجْوادْ على أحكَـــامْ عَبْـــدُه وَلْدَ المُصْنَانَـــةْ"

زواجه

وتذكر الرواية أن الشاعر مصطفى بن ابراهيم شغل وظيفة بعد أن تزوّج من ابنة موظف في الإدارة التركية، كما يذكر التاريخ أن أسرة الشاعر ساهمت في عودة القبائل التي هاجرت إلى المغرب، ولقد أنجب الشاعر من هذه المرأة ولدا سُمّي الهاشمي، التحق فيما بعد بالجيش وأصبح ضابطا برتبة ملازم في فرقة (الصبايحية الثانية) كما كان للشاعر بنتا تدعى خيرة. وكان على اتصال بأسرته أيام كان في المغرب.

ولقد تزوج الشاعر مرّة أخرى بامرأة مغربية بعد فراره من قبيلته خوفا من بطش القائد الفرنسي، ولّما استقرّ بمدينة فاس بقي فيها مدّة خمس سنوات تزوج "بطامو" المنسوبة إلى قبيلة الحياينة المعروفة في نواحي فاس.

وحدث ذات مرّة أن رُفع أمره إلى السلطان (سيدي محمد) بسبب هجائه لأهل (فاس) فقد نُسب إليه هذا القول:

جَلاَّبَةْ في بلعباسْ والعزّ معها

خيرْ مَ القيادةْ في فاسْ والذّل معاهَا

ولّما حضر بين يدي السلطان صرّح بأنّه قال:

جَلاَّبَةْ في فاسْ خَيْر مَنْ قيادهَ في بلعباسْ

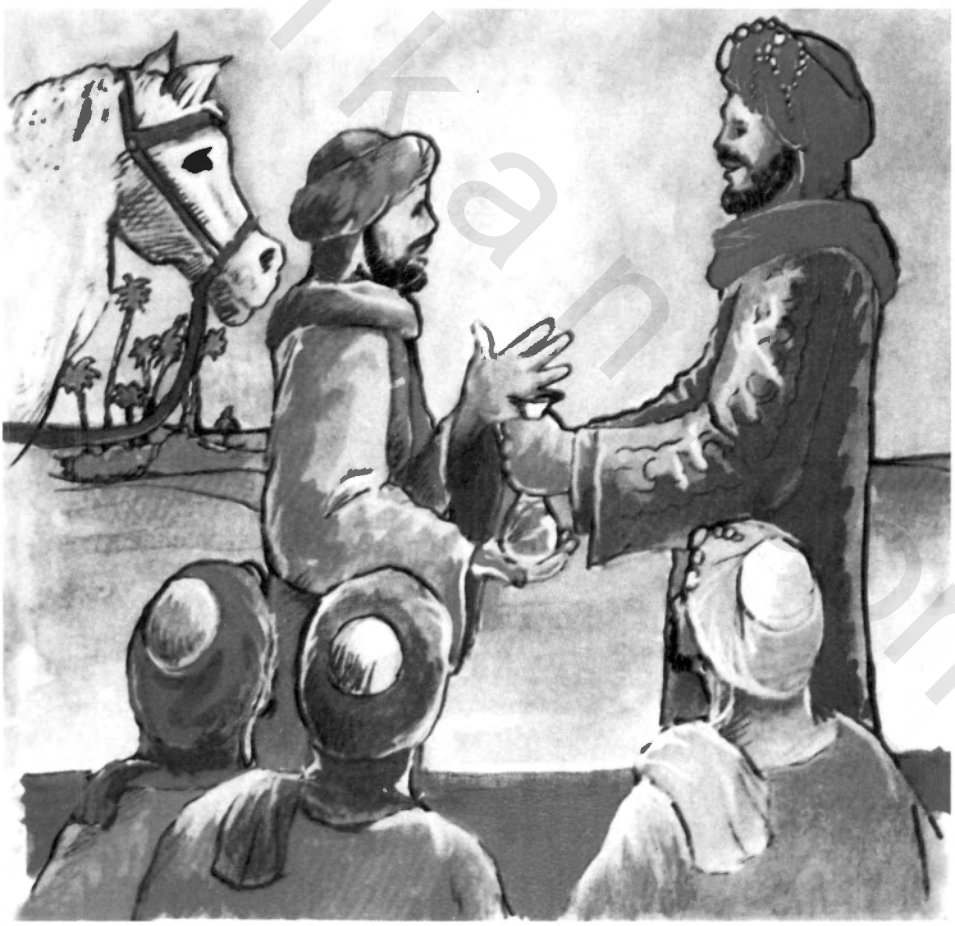

obeikan.com

حنينه إلى الوطن

لقد عاش الشاعر مصطفى بن إبـــراهيم حـــياة الاغتراب، رغم عناية السلطان به، ويقال إنّه أجزل له العطاء، وأنعم عليه بمرتب شهري وسمـــح له بالتجوال بكل حريّة في أقاليم المملكة، إلاّ أن الشاعر ظل يشدّه الحنـــين إلى وطنه، دائم الاتصال بابنه الهاشمي وذويه وأصحابـــه في مدينة ســـيدي بلعباس، ولقد تكللت مساعيهم في إعادة الشاعر إلى أرض الوطن، و لم يفته قبل عودته أن يشكر السلطان على عطفه عليه، وأن يستأذنه في الخـــروج من مملكتـــه، وقفل الشاعـــر راجعا إلى وطنه مصحوبا بزوجتـــه (طامو) وأخيها، وعند الحدود المغربية الجزائرية استقبلته فرسان بني سليمان، فأثّر فيه هذا الاستقبال الحار.

وكان كلّما يشتدّ به الحنين يذكر هذه الأبيـــات التي قالها في الحنين إلى الوطن:

قَلْبي تَفكْـــرْ الأوطـــانْ الزَهْو وركُوب الخيـــلْ
أرْعَيْـــتِي والفُرسَـــــانْ خَوْدَاتْ في احْرَاجْ تِمِيلْ
مَتْحَزْمِـــينْ للفتَـــــانْ شُبـــانْ يَلْعُوا بكْحِيـــلْ

ويقول أيضا:

بَعْد الحَصْـــن والقُومان تشَالـــي شُـــوَاشْ وخَلْفَـــوَاتْ عَمالـــي
حَسْـــرَاه كُنتْ بقَوْمِي خَيّالَـــهْ وفْعَلْتْ كي نَجْع سوِيد بامْحالِي

عودته إلى أرض الوطن

لمّا رجع الشاعر مصطفى بن إبراهيم إلى مسقط رأسه في منطقة أبي جبهة ركن إلى الهدوء، وقد رآه الناس قد تغيّرت صورته التي كانت ذا هامة نادرة الشعر ملساء، كثّ اللحية ربع القامة نحيف الجسم، وعينان جذّابتان وهيئة تُسْبِلُ عليه الشهامة والنخوة.

السُّوق شَاوْ كَانَ مَعَمرْ هذا العصْر ضِيق عشيهْ
والشمسْ غَرْبتْ للمشْوَرْ والحال ضَاقْ فاتَتْ الدنيا

لقد أصبح الشاعر شيخا هرما منحني الظهر، مشتعل اللحية شيبا وذلك لشـــدّة ما كان متأثرا من ضياع مكانته التي كان يتمتع بها عند الناس أيام كان يتربـــع على كرسي القيـــادة. وقد سعى بعض أصدقائه الأوفيـــاء في إرجاعه إلى منصبه، فسنحت لهم الفرصة أثناء غزوة في الصحراء وهي (عزوة وادي قير).

وبينما كان الشاعر ذات يوم يفكر كعادته في ضياع مجده، وهو يقنـــع نفسه بأنّ دوره قد انتهى وهو يقول:

نَبْغِي عَلى مقامِي يُوضع بنيـــانْ	قُبّة لِمنْ جَا زَايـــرْ وِينْ يبَـــــاتْ
وَمْنِينْ خالية من ولادي مُحـــالْ	يَنْفُـــو اقْبورْ يَنْسُوا قبرلي مَـــاتْ
ياإله ارحمْ صَفِـــي والوالديـــنْ	واليّ قَرَابْ والطُلبَة والسَّـــدَاتْ

وإذا به يتسلَّم أمرا بالتحاقه في الحال بفرقة الجيش الغازية في الصحراء، فركب جواده وسار نحوهم.

ولاحظ القبطان الفرنسي حاكم الضاية معنويات جنده المنهارة، وأشار عليه أحد مقربيه باستدعاء مصطفى بن إبراهيم لرفع معنويات الجند.

obeikan.com

وفي المساء أقبل الجند على السهرة، وكان الشاعر نفسه يغني ويضرب على الدّف، وكان بارعا في استخدامه، ولمّا حضر القبطان السهـــرة أعاده إلى منصبه على رأس قبيلة أولاد سليمان، واستقرّ بين أهله في أبي جبهة.

و لم تمرّ عليه سنة 1867 حتى عمّ البلاء تلك المنطقة التي أصبح حاكما عليها فأصابها قحط الجفاف العارم، وتفشّى فيها وبـــاء الطاعون القـــاتل وشمل جميع أنحاء بلعباس فخرج الشاعر وسط الناس يوزّع عليهم المؤونة، وفي قرية "مكدرة" أغمي عليه ففاضت روحه وانتقلت إلى بارئها، فحملـــوه إلى "أبي جبهة" ودُفن في البطاح ما بين جمع القبـــاب. و لم يُوضع على قـــبره هناك بُنيـــان. وإنّما كتبوا عليه هـــذه الكلمات "قبّة لِمن جا زاير وِينْ يباتْ" وذلك كما رغب الشاعر في قصيدتـــه "عَيْطه مَلاَحْ يبكوني بالدمعة"

نماذج من شعره

سرّجْ يا فارس اللّطامْ

سَــرّجْ يا فــارس اللّطـــامْ ... لبهجــةَ رُوحْ يا خَلِيلـــي
شَضَــفْ مَــنّــا بلا مقــامْ ... للزهرة رُوحْ عِيــدْ رُسْلــي
تُوصَلْ مَرْخُوفــة الحَـــزامْ ... في وهران ساكنــة غزالــي
الأزرق شَــلْــواح لَلْجَــامْ ... يَتْحَوْمَلْ صيــد جَاي فَالــي
قُرصَــانْ البحــر كان عَــامْ ... إذا سكنُــه الريــح يَجْلــي
يَــدْوِي مَ لَظَّــة القَـــدَامْ ... طَبْــع القُومــانْ والمَثالـــي
قبــل الاّ يَنْفــجِيَ الظــلامْ ... اسْــرَى مَنّا وبــات سَالــي

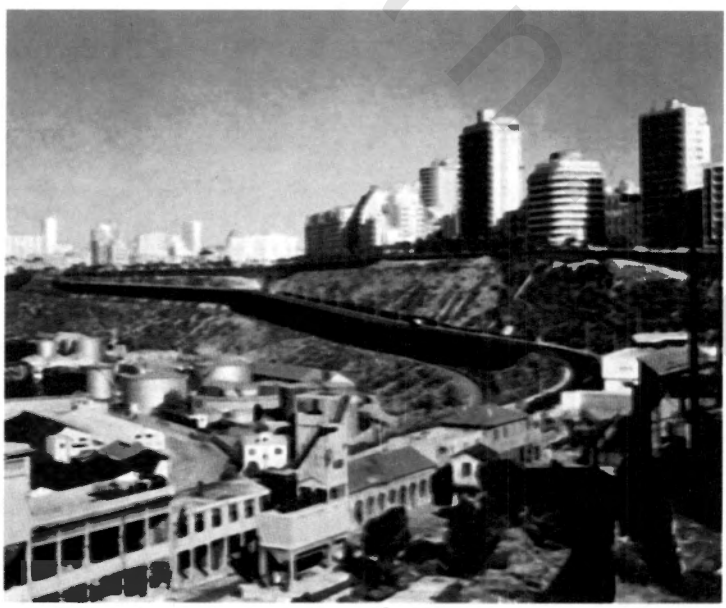

مدينة وهران

رَسَلَتْ مَرْسُــولْ ذي أيــامْ جــابْ الحاجَــة وجَاتَوَالــي
كــي شُفتهُ جــاذا الغــلامْ فَرْفَرْ لِيــه امــلاحْ عَقْلــي
نابِيتــهُ ثُــم بالكــلا مْ مْنينْ أنتَ تُرىَ انســبْ لــي
واجبْني قال لــي نعــمْ أنــا تَاصِلْــتي زَمَالــي
فتحــتْ وحدة على اللشــامْ هَجّــارة خَــدْهَا يَــلالــي
مَرْقَــتْ للصَحْــو مَ الغَيــامْ بَسَايَــسْ نُبْلــهَا تَشَالــي

openkutub.com

ما أطول ذا الليل

ما اطَولْ ذا الليل كي طوَالْ ... وأنا في بيت غيرْ وَحْـدِي
غَزْلي مَبْـني على الخبَـالْ ... ما صُبْت سلاكْ كي نَسَدِّي
جَاني مَرْسـولْ بعدْ حـالْ ... دَقْدَقْ في الباب قال سيدي

ما أعظم زينك آيامنة

هذا اليوم سعيـد مُبـاركْ ... فيـه وَفِيتـكْ ها يامنـهْ
أتَاج الخـودات اخْبـاركْ ... المـرض اليّ بِـكْ هلكنَـا
مَالِي طاقـة لِكْ نْشُوفَـكْ ... ونْسَقْصِي في الناس خيانـهْ
متْهَوَلْ قلـبي مِنْ ضُـرَكْ ... كان المـولى يَقْبَلْ مَـنَّا
نتحَمَـلْ الكُلْ اضْـرَاركْ ... إذا مُـتْ اللّه يَرْحَمْنَـا
كِيمَا يَغْفـرْ لي يغْفَرْ لَـكْ ... أذْنُوبـكْ وأذنوبي أنَـا

يامنَة كيفـــاه سْمَاحِـــي وأنا عَشْقي فيكْ مْحَبَـــه

يامنة عَطَبْـــتِ جُرحِـــي مَالِي مَنْ غـــيرك طُبَّـــا

يامنـــة يا مُمُو لَمْحـــي عَافيني وارْضي بالغَلْبَـــة

يامنـــة يا زَهْرَ الْقَاحـــي برضاك تفَاجي ذا الكُربهْ

يامنـــة بَدَلتِ فَرْحـــي بالحزن فراقك مُصيبـــهْ

يامنـــة فَنيتِ رُوحـــي قلـــبي رشَقْتيهْ بْحَرْبـــهْ

ما اعظم زينك آيامنـــه.

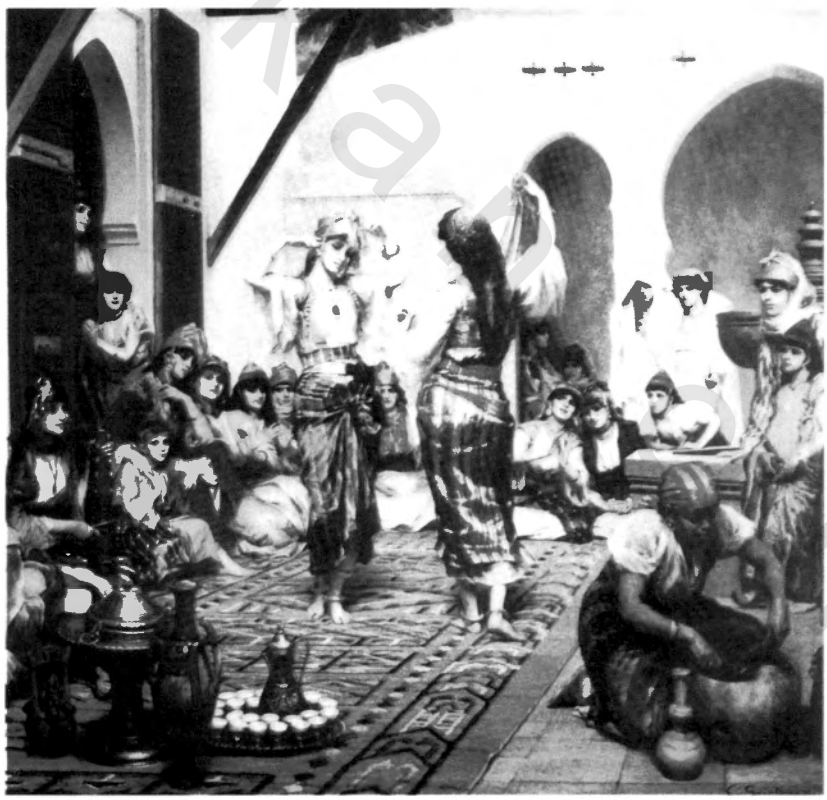

حفلة زواج

من قصيدة القمري

أنْتيَا بَحْمَا يْمَكْ زَاهِـــي تْنَقْمـــرْ ... مَادَرْكَكْ مازَارْ قـــلبي ياوَرْشـــانْ

حَبَكْ رَبِي راكْ في الحيطان عاشَـــرْ ... ما تحملْ هانة ولا عيشـــة الأغْبَانْ

ديمة قلبـــكْ يا النيلي ما تَغَيَـــــرْ ... ليسَ يَخْبلْ خاطرك مَن هو شيطانْ

تلعبْ في الأسطاحْ وأنتيا مبختـــرْ ... مَنْ ذا الصُورْ لذا تَخْفقْ بالجْنحانْ

من قصيدة عيطة ملاح يبكوني بالدمعة.

دْخَلْتْ فاسْ بقيتْ نْحَوَس ... ما صُبتْ فيه زيْ بـــلادي

صَهْدَ العزيز جَافي الكبـــدَة ... وانطلقوا حْمُول خـــدودي

إذا خالقـــــي رَجَّعْـــــني ... واشْ يطيَّـــح لَلّي عـــادي

ربِّـــي على المـــلاحْ يدبـــرْ ... وأنا صاحـــب البغـــدادي

بين الكتافْ حطّ الطابـــعْ ... وشارْ لي برجـــــع أولادي

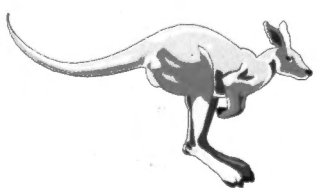

openkan.com